المقدمة

تكمن أهمية " التفكير العلمي " Scientific Thinking في نتائجه وثماره، وتتجلى في خصائصه وميزاته، وتنبثق من منهجه وآليته ؛ فهو يؤدي إلى الوصول إلى الحل المناسب في الوقت الملائم وبتكلفة أقل. ويمتاز بأنه تفكير واضح المنهج، مترابط الخطوات، موضوعي، منطقي، هادف. إنه باختصار تفكير واعٍ، منظّم، منطقي، واضح، إنه تفكير: ماذا؟.. ولماذا؟... وكيف؟

قد لا يدرك أهمية التفكير العلمي من لم يتفحص طريقته في التفكير، ومن لم يعش ضمن منظومة اجتماعية يفكر أفرادها علمياً، كما قد لا يستشعر أهميته من لم يتلبس بمنهجية التفكير العلمي يوماً من الدهر ولم يذق طيب ثمارها. وقد لا يقتنع البعض إلا بالتطبيق والمثال؛ وهذا أمر طبيعي، مما يحتم مزج الطرح النظري بالتطبيق.

والتفكير العلمي ليس هو تفكير العلماء بالضرورة كما قال أستاذنا الدكتور " فؤاد زكريا ". فالعالم يفكر في مشكلة متخصصة، هي في أغلب الأحيان منتمية إلي ميدان لا يستطيع غير المتخصص أن يخوضه، بل قد لا يعرف في بعض الحالات أنه موجود أصلاً، وهو يستخدم في تفكيره وفي التعبير عنه لغة متخصصة يستطيع أن يتداولها مع غيره من العلماء، هي لغة اصطلاحات ورموز متعارف عليها بينهم، وإن تكن مختلفة كل الاختلاف عن تلك اللغة التي يستخدمها الناس في حديثهم ومعاملاتهم المألوفة . وتفكير العالم يرتكز علي حصيلة ضخمة من المعلومات، بل إنه يفترض مقدماً كل

ماتوصلت إليه البشرية طوال تاريخها الماضي في ذلك الميدان المعين من ميادين العلم [1].

أما التفكير العلمي الذي يقصده أستاذنا وأنا أتفق معه في ذلك، فلا ينصب علي مشكلة فلا ينصب علي مشكلة متخصصة بعينها، أو حتي علي مجموعة المشكلات المحددة التي يعالجها العلماء، ولا يفترض معرفة بلغة علمية أو رموز رياضية خاصة، ولا يقتضي أن يكون ذهن المرء محتشداً بالمعلومات العلمية أو مدرباً علي البحث المؤدي إلي حل مشكلات العالم الطبيعي أو الإنساني، بل إن ما نود أن نتحدث عنه إنما هو ذلك النوع من التفكير المنظم، الذي يمكن أن نستخدمه في شئون حياتنا اليومية، أو في النشاط الذي نبذله حين نمارس أعمالنا المهنية المعتادة، أو في علاقاتنا مع الناس ومع العالم المحيط بنا .وكل ما يشترط في هذا التفكير هو أن يكون منظماً، وأن يبني علي مجموعة من المبادئ التي نطبقها في كل لحظة دون أن نشعر بها شعوراً واعياً، مثل مبدأ استحالة تأكيدد الشئ ونقيضه في آن واحد، والمبدأ القائل أن لكل حادث سبباً وأن من المحال أن يحدث شئ من لا شئ [2].

والتفكير العلمي يعتمد علي منهجية أساسها الموضوعية التي تعني تجرد الباحث عن أهوائه وميوله الذاتية وأغراضه الشخصية والإذعان للحق والحقيقة، وإسلامنا الحنيف يدعو صراحة إلي هذا البعد الأساسي المنهجي، من حيث ينهي عن أتباع الأهوال والميول

---

(1) د. فؤاد زكريا : التفكير العلمي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2004، ص ص 5- 6.

(2) نفس المرجع ، ص 6.

والظنون من الحق شيئاً، بل إنه ينعى علي من يخضع لهذه المؤثرات جميعاً، ويتبدي لنا ذلك في قوله تعالي :﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان 43، 44)، ويقول سبحانه : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ (النجم:23)، ويقول عز وجل : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ (يونس : 36)، فهذه الآيات وغيرها كثير، صريحة الدلالة علي دعوة الإسلام إلي ضرورة الالتزام بالحق والتثبت باليقين، والتجرد من الميول والأهواء والنزعات الشخصية سواء في مجال الاعتقاد أو الفكر أو السلوك الفردي [1] .

موضوعنا إذن هو التفكير العلمي ومستجدات الواقع المعاصر – قضايا وإشكاليات، وهو يمثل موضوع الساعة في العالم العربي . ولذلك فقد إنتقينا بعض القضايا والاشكاليات والتي تدخل في صميم إطار التفكير العلمي ومستجدات الواقع المعاصر، فنجد أن الفصل الأول يتكلم عن خصائص التفكير العلمي وأهم معوقاته، بينما الفصل الثاني قد خصصناه للحديث عن " التفكير العلمي عند العرب في ضوء الرؤية الاستشراقية " ، في حين جاء الفصل الثالث بعنوان " التفكير العلمي وإشكالية التجارب الحاسمة في تاريخ العلم (دراسة تحليلية - نقدية في فلسفة العلم المعاصرة)" . أما الفصل الرابع فيدور حول " التفكير العلمي في ضوء إشكالية الفروض المساعدة ومكانتها في ميثودلوجيا برامج الأبحاث عند إمري لاكاتوش". وأما

(1) د. محمد حسيني ابو سعدة : الإستشراق والفلسفة الإسلامية، دار أبو حريبة، ط1، 1995، ص 9

الفصل الخامس والأخير فيبحث عن " التفكير العلمي وإشكالية حروب العلم في الولايات المتحدة الأمريكية في ضوء خدعة آلان سوكال .

وأخيراً فإنني أرجو أن أكون بهذا الكتاب قد أديت خدمة متواضعه لكل من يبغي التفكير العلمي ويسعي إلي تطبيقه في واقعنا المعاصر .

والله نسأل أن يهدينه سبيل الرشاد

أ. د. محمود محمد علي محمد

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة أسيوط

obeikandl.com